خطة ترامب وإذلال غلمانه العرب

بقلم: محمد الصغير...

طوفان الأقصى أصبحت علامة فارقة، ونقطة تحول كبرى في كثير من الملفات الدولية والإقليمية، وأصبح شائعا التأريخ بما قبل الطوفان وما بعد الطوفان، وكل من أدرك أهميته أكد على أن هذا الطوفان له ما بعده، وأن دور غزة تخطى مرحلة الدفاع عن القدس وتحرير فلسطين، إلى كونها خط الدفاع الأول عن الأمة بأسرها، والذي يحول دون تغول أعدائها عليها. وكانت الطبقات المترفة ترى ذلك لونا من المبالغة، بل إن خمس دول عربية -كما ذكرت تقارير أمريكية- وافقت على خطة القضاء على حماس، وطلبت ألا يستغرق ذلك وقتا طويلا حتى لا يحرج القادة أمام شعوبهم، وطالت المدة إلى 15 شهرا؛ فشلت فيها خطة القضاء على حماس، واستطاع كثير من حكام الدول العربية والإسلامية إلجام أفواه الشعوب عن التعاطف اللفظي مع أهل غزة، ناهيك عن السماح بالتظاهر، ومنعوا القنوت والدعاء، واعتقلت الشقيقة الكبرى مَن رفع علم فلسطين في مباريات كرة القدم، أو من خرج في مظاهرة تنديدا بالحرب، وبعضهم مازال رهن الاعتقال حتى الآن!

فشل "نتنياهو" في تحقيق أهدافه في حرب الإبادة الجماعية على غزة، مع التعاون الكامل من دول الجوار في تشديد الحصار، وتفعيل الاستفادة القصوى مع الدول التي طبعت معه، وجاء ترامب ليعوض الاحتلال عن هزائمه في الميدان، ليجعل ما فشلت فيه آلة الحرب الصهيونية، فرضا بقوة العنجهية الأمريكية.

قبل انتهاء مراحل تسليم الأسرى بين حماس والاحتلال، ظهرت تصريحات ترامب بتهجير أهل غزة إلى مصر والأردن، ورفض كلا البلدين هذه التصريحات، ومع كل نفي عربي يخرج ترامب لنفي النفي، مؤكدا على ثقته في قبول خطته، وأكد على هذه الخطة في حضور "نتنياهو" الذي استقبله رسميا ضاربا عرض الحائط بأحكام الجنائية الدولية التي اعتبرته مجرم حرب، بل أمعن "نتنياهو" في تبجحه قائلا: إن مساحة الرفض المبدئي والأخذ والرد حول قضية التهجير، متفق عليه مع أصدقائنا القادة. وكانت المفاجأة المدوية في عرض "نتنياهو" تهجير الفلسطينيين إلى الأراضي الشاسعة في المملكة العربية السعودية، وكان رد المملكة عليه حاسما وواضحا،

لكن ذلك أكد ما صرح به السيد عمر موسى -الأمين السابق لجامعة الدول العربية- أثناء طوفان الأقصى، أن إسرائيل لو انتهت من غزة ستتجه أنظارها إلى أجزاء من مصر والسعودية، وقوبل تصريحه ساعتها بالاستهجان!

وهذا كله يأخذنا إلى سؤالين:

الأول: هل وصل استخفاف الرئيس الأمريكي بالأنظمة العربية إلى هذا الحد، أم أنها اتفاقات سابقة لم يكن متفقا على إعلانها بهذا الشكل؟

الثاني: هل تعترف وفود التفاوض التي كانت تركض من كامب ديفيد إلى أوسلو، وراء سراب السلام الخادع، أن مشروع حل الدولتين كان كسبا للوقت، وأن الاحتلال لا يخفي أطماعه في دولة من النيل إلى الفرات، بل ويأمل في العودة إلى حصون خيبر؟

لو كان في الأنظمة العربية شيء من رشد لأنشأوا حماس قبل أن يفكر فيها الشيخ أحمد ياسين، ولأمدوها

بكل وسائل الدعم إذا لم يكن ديانة وشهامة، فاتقاء لأطماع نتنياهو المتعجرف، ودرءا لأوهام الشقي الأصهب.

ومن الهزال البادي في الموقف العربي أن كل ما صدر من دونالد ترامب وضيفه مجرم الحرب، لم يقابله إلا الرفض المبطن بأعلى درجات الود، وبقي أن يرسلوه مع باقة ورد، ولو كان في الوجوه بقية من حمرة الخجل لاستدعي سفير التطبيع على عجل، للفت نظره وعتابه، ولا أقول لطرده أو توبيخه "لا سمح ا"!

من الهزال البادي في الموقف العربي أن كل ما صدر من دونالد ترامب وضيفه مجرم الحرب، لم يقابله إلا الرفض المبطن بأعلى درجات الود، وبقي أن يرسلوه مع باقة ورد

مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى "إن لم تستح فاصنع ما شئت"، لذا هرول الإعلام المتصهين، لإعلان البراءة من الصهاينة، والتحول لمدح قيم المقاومة، والوقوف في وجه المحتل، وربما يتطور الأمر لإذاعة أناشيد حمساوية أو بيانات الفارس الملثم الناطق الرسمي باسم المقاومين.

تذكر بعضهم على عجالة أن خير ضمانة في مؤازرة الشعب ومظاهرات الرفض، فأخرجوا قطعان المستأجرين وألبسوهم ثياب المتظاهرين، فظهروا كلابس ثوبي زور، وافتضح أمر النائحة المستأجرة، التي حولت المظاهرة إلى "حنة حنان"، لأن فوبيا المظاهرات ارتبطت عندهم بالثورات، فيحسبون كل صيحة عليهم، وكل مظاهرة ستنقلب ضدهم، وكلما قرأت ما كتبه الشاعر المبدع معروف الرصافي، وجدتني إلى تصديقه أميل، لأن الثقة في صبيان ترامب من العسير الصعب.

قال الرصافي:

لا يخدَعنْك هِتاف القوم بالوطن.. فالقوم في السر غير القوم في العَلَن

أحْبُولة الدِّين ركَّت من تقادمها.. فاعتاض عنها الورى أحبولة الوطن

فما لهم غير صيد المال من غرضٍ.. في اليوم والغد والماضي من الزمن

لم يقصدوا الخير بل يستذرعون به.. رميا إلى الشر أو قصدا إلى الفتن

فإن تهادن قوم فانتظر شغبا.. إذ ليس هدنتهم إلا على دخن